

# اختلاف اللغة والفكر

عند النساء عنهما عند الرجال

## هل تختلف اللغة والفكر عند النساء عنهما عند الرجال ؟

نقدم فيما يلي خلاصة لأحدث ما توصل إليه علم المخ أو علم دراسة المخ كما جاء في مجلة نيوزويك Newsweek الأمريكية مؤخراً ، والتي طالعنا على غلافها بعنوان رئيسي يقول : العلم الجديد للمخ أو للدماغ The New Science of the Brain ، مع عنان فرعي على شكل سؤال يقول : لماذا يفكر الرجال والنساء تفكيراً مختلفاً ؟ Why Men and Women Think Differently .

يؤكد العلماء الأمريكيون أن هناك اختلافاً كبيراً بين مخ الرجل ومخ المرأة ، وأنهما نتيجة لذلك يفكران بطريقتين مختلفتين اختلافاً كبيراً . وقد توصل العلماء إلى ذلك بعد أن قاموا بفحص أمخاخ أكثر من ألف رجل وألف امرأة بأجهزة تصوير المجال الوظيفي المتردد للأعصاب FMRT وجهاز الأشعة النووية PET في جميع مراحل التفكير والتذكر والتعلم والأحاسيس والمشاعر .

وقد توصل البروفيسور ريتشارد هير بجامعة كاليفورنيا ومعه البروفيسور روبين جون من جامعة بنسلفانيا اللذين أشرفا على أول بحث علمي من نوعه إلى الحقائق العلمية التالية التي يعرفها العالم لأول مرة .  
أنه من المستحيل أن يسترخي المخ فترة طويلة بدون تفكير في شيء حتى إذا تعمد الإنسان ذلك .

عندما يسترخي الرجل فإنه عادة يثبت تفكيره في العمل أو كرة القدم مثلاً ، أما المرأة فيتجه تفكيرها إلى نسج مجموعة من الكلمات .  
أن الرجال يستخدمون الجانب الأيسر من المخ وهو المسؤول عن اللغة بينما تستخدم النساء الجانب الأيمن مع الجانب الأيسر .  
ومن المعروف أن الجانب الأيمن هو المسؤول عن العواطف وهو ما يفسر سر عاطفة النساء !

كانت النساء أقدر على مزج اللغة بالمشاعر مما ساعدهن على التعبير واستخدام الكلمات التي تعبر عما يجيش في صدورهن .

أن الجانب الأيسر من المخ المسؤول عن الكلام والقدرات اللغوية يحتوي على أحزمة عصبية في مخ المرأة أكثر من مخ الرجل، مما يساعد المرأة على التعبير بالكلمات بشكل أفضل من الرجل .  
كما أثبتت تجربة أخرى أجرتها لورا آلان ، وروجر جورسكي على ١٤٦ رجلاً وامرأة مايلي :

أن الجانب الأيسر من المخ عند الرجل لا يكاد يعرف ماذا يحدث في الجانب الأيمن من المخ . ولكن على العكس من ذلك فإن حواراً عصبياً – أي من خلال الأعصاب – يدور باستمرار بين الجانبين الأيمن والأيسر من المخ عند المرأة .

أن مخ المرأة كالغرفة الواحدة ، ومن ثم فإنه يستطيع أن يركز في موضوع واحد بكفاءة عالية مما يحقق إنجازاً كبيراً ، لكن مخ الرجل كالبيت مقسم إلى عدة غرف فهو يأخذ شيئاً من كل ألوان النشاط .

وقد أثبتت الدراسات التشريحية أن هرمونات الجنس ذات تأثير كبير على الاختلافات في المخ عند الرجال والنساء وأنها تجعل كلاً منهما يستخدم المخ استخداماً مختلفاً . إلا أن عالم النفس الأمريكي مارك بريدلت يؤكد أن أجزاء من مخ الإنسان تنكمش أو تنمو وفقاً للخبرات الاجتماعية التي يتعلمها ووفقاً للمعاملة التي يتلقاها من المحيطين به ، لذلك فإن التفاعلات الاجتماعية المعقدة حول البشر تساهم في تطوير الجهاز العصبي للإنسان وبالتالي نمو جزء معين من المخ أو تقلصه . كما أن المعاملة التي يتلقاها الشخص في المجتمع تختلف إذا كان رجلاً أو امرأة وهذا بدوره يؤثر في تطور مخ الإنسان .

ونحن لو تأملنا بعض هذه الاختلافات ، ونتائج التجارب التي أثبتت أيضاً أن النساء أقدر على كشف المشاعر ، خاصة مشاعر الحزن ، وأقدر على تجاوز الحزن والخروج من الأزمات ، لأدركنا أن تلك الاختلافات ربما كانت تؤحد أكثر مما تفرق ، وتتفجع أكثر مما تضر ، ولتذكرنا على الفور قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم: ٢١] صدق الله العلي العظيم.

في عالم اليوم تحظى الظواهر العالمية للغة (بمعنى الملامح المشتركة بين اللغات المختلفة) بنصيب أوفر من الاهتمام عما تحظى به نظرية وورف المعروفة باسم النسبية اللغوية **Linguistic Relativity** والتي سبق الإشارة إليها . وقد أشار عالم اللغة الأمريكي الشهير نعوم تشومسكي **Noam Chomsky** إلى أن ورف كان معنياً أكثر مما ينبغي بالتراكيب أو البينات السطحية للغات ، بينما في مستوياتها الأعمق فأن اللغات كلها تتشابه أكثر مما تختلف . (ولا يعني هذا أن ننسى أو نتناسى أن اللغات والثقافات المختلفة قد يكون لها بالفعل تأثيرات مهمة في سلوك البشر).

كل ما في الأمر أنه قد يكون من الأسهل للمتحدثين ببعض اللغات أن يتكلموا أو يفكروا في أشياء معينة لأن لغتهم تسهل لهم ذلك . ويشير اللغوي الأمريكي تشارلز هوكيت **Charles Hockett** إلى أن اللغات تختلف فيما بينها ليس فيما يمكن قوله بها ، بقدر ما تختلف فيما هو سهل نسبياً قوله بها . إذن فالفرق بين اللغات ليست كامنة فيما هي قادرة على التعبير عنه ، بقدر ما هي كامنة فيما تعبر عنه عادة بالفعل ، وفيما هو مطلوب منها أن تعبر عنه .

ومن المحتمل أن الوظائف الأساسية للغة تؤديها جميع اللغات ، مثل إعطاء المعلومات ونفيها ، وتوجيه الأسئلة ، وإصدار الأوامر ، وهكذا . كما يتفق البشر على مجموعة من البديهيات والمسلمات والأحاسس التي تحكم عملية التفكير ، ومنها على سبيل المثال ، أن أقصر مسافة بين نقطتين هي الخط المستقيم الواصل بينهما ، وأن الجزء أقل من الكل ، وأن القيمتين اللتين تساوي كل منهما قيمة ثالثة متساويتان ، وهكذا .

ولعل في إمكانية الترجمة بين اللغات ما يشير ضمنا إلى وجود معرفة عامة بالعالم يشترك فيها جميع البشر ، وأن هذه المعرفة مستقلة عن لغاتهم الخاصة التي يعبرون بها عن تلك المعرفة .

خلاصة القول أن هناك أوجه تشابه أكثر مما هناك أوجه اختلاف في كيفية فقيام النظم اللغوية بالرمز إلى المفاهيم ، وذلك لأن هذه المفاهيم نتاج لتفاعل المجتمعات الإنسانية مع البيئة الطبيعية والاجتماعية التي تتسم بالتشابه الكبير في جميع أنحاء العالم . وحتى في حالة وجود فروق فإن ذكاء الإنسان يكفي عادة لفهمها وللتغلب على المشكلات التي قد تنتج عنها .